معارف ولطائف

خالد الخراز

البكاء

قال تعالى: (وأنه هو أضحك وأبكى) (النجم:43)، أي: خلق الله في عباده الضحك، والبكاء وسببهما وهما مختلفان، فالبكاء فطرة بشرية، وغريزة لا يملك الإنسان دفعه بحسب أسبابه، وحكمه مباح إذا عدم مخالفته للشرع من السخط على قضاء الله، أو ما نهى عنه رسول الله ﷺ.

وأصدق البكاء إذا كان من خشية الله، قال سبحانه: (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا. ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا. ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا) (الإسراء: 107ـ 109)، أي: يقعون على الوجوه يبكون، والبكاء مستحب عند قراءة القرآن (ويزيدهم) نزول القرآن (خشوعا) خضوعا لربهم، وإيمانا وتصديقا بكتابه ورسوله، ويزيدهم الله خشوعا، أي: إيمانا وتسليما، ونظيره قوله تعالى: (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) (مريم: 58).

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربه، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل طلبته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه.

وعن أبي أمامة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس شيء أحب إلى الله من قطرتين وأثرين، قطرة من دموع في خشية الله، وقطرة دم تهراق في سبيل الله، وأما الأثران: فأثر في سبيل الله، وأثر في فريضة من فرائض الله «رواه الترمذي (1669)، وحسنه الألباني.

عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله. رواه الترمذي (1639).

وورد الأمر بالبكاء تهديدا للمخالفين للرسول ﷺ في تخالفهم عنه كما قال تعالى: (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون) التوبة (82)، هذا تهديد وإن خرج مخرج الأمر، وذلك بسبب تخلفهم عن رسول الله ﷺ ونفاقهم.

والبكاء هو أن تفيض الدموع من أثر الخوف من الله أو للتعبير عن حزن بسبب موقف إنساني مؤلم.

والبكاء أنواع، فمنه بكاء الرحمة والحزن لفقدان عزيز، ومنه بكاء الفرح، ومنه بكاء الفزع، ومنه بكاء الخوف من حوادث الدنيا وتغيراتها وتقلباتها. وهو يولد المرض والاكتئاب.

ومنه بكاء الكذب والتصنع، وقد ذكر القرآن الكريم قصة إخوة يوسف عليه السلام كما في قوله تعالى: (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) (يوسف:16).

ومنه بكاء الاعتراض وهو المصحوب بحركات وأصوات تدل على الاعتراض على قدر الله. وهذا مذموم ومحرم. ومن المفروض أن يكون البكاء خشية من الله تعالى، وخوفا منه، وطمعا في رحمته، فهذا هو البكاء المحمود، أو أن يكون البكاء من سماع القرآن وما فيه بعد تدبره وتأمله، أو أن يكون لمعنى إنساني نبيل كما فعل سيد البشر ﷺ حين مات ابنه إبراهيم، وهذا كله من البكاء المحمود المشروع.

أما بكاء التصنع وما فيه، سواء كان ذلك لإثبات صدق قول أو دعوى أو ما إلى ذلك كما فعل إخوة يوسف، فهذا من البكاء المذموم، لأنه لا يكاد يدل على صدق الإنسان في فعله، ومن البديهي أن يعرف الباكي من المتباكي وصدق من قال:

إذا اشتبكت دموع في خدود
تبين من بكى ممن تباكى

كما أن البكاء والأسف يكونان على مقدار التفريط في ارتكاب الذنوب، أو خلط عملا صالحا وآخر سيئا، وهو داخل تحت المشيئة وعنده من الندامة كأمثال الجبال ومن الحسرات كعدد الرمال، فإن الصحة لا يعرف مقدارها على الحقيقة إلا المرضى، والبراءة لا يعرف مقدارها إلا المذنبون، وكذلك الحياة لا يعرف مقدارها إلا الموتى، لأنهم قد ظهرت لهم الأمور وانكشفت لهم الحقائق، وعلموا مقدار الأعمال الصالحة إذ ليس ينفع هنالك إلا عمل زكي، ولا يرتفع هناك إلا عبد تقي، فالمقصر يود لو أنه رد فاستدرك ما فات ونظر فيما فيه فرط، والمهمل العمل بالجملة يكون تمنيه الرجوع أكثر وحرصه على العودة أشد، فالواجب اغتنام الصحة والفراغ المغبون فيهما كثير الناس وإنما يحصل للشخص الحزن، والبكاء على ما أصيب به لذهوله عما بين يديه من سكرات الموت وغصصه والانفراد في القبر وحيدا ذليلا مستوحشا، ثم مسائلة الملكين منكر ونكير، وطول مكثه تحت الثرى إما منعما وإما معذبا، ثم من بعد ذلك خروجه من قبره وقيامه لرب العالمين، ثم وقوفه الطويل في المحشر وما يرى من أهوال يوم القيامة، ثم حسابه بين يدي الله تعالى ووزن أعماله وتطاير الصحف والمحاسبة، وأنه وجد ما عمل محصيا في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، وأنه بين رجاء وخوف إما لذات اليمين أو لذات الشمال.

لم لا يبكي الإنسان على نفسه المرهونة بالنار، والموت أمامه، والقبر منزله، والقيامة موقفه، والخصماء أقوياء، والقاضي هو الله العظيم؟

شهر الانتصارات

فتح الأندلس بدأ بحلم جميل وانتهى بكابوس مفجع «2-2»

نستكمل قصة فتح الاندلس على يد القائد موسى بن نصير وبعد العقبات الثلاث التي واجهها جاءت العقبة الرابعة وهي محدودية قوات المسلمين الفاتحين التي جاءت من جزيرة العرب ومن الشام واليمن، وكانت في الوقت نفسه منتشرة في بلاد الشمال الأفريقي، ومن ثم قد لا يستطيع أن يتم فتح الأندلس بهذا العدد القليل من المسلمين، هذا مع خوفه أن تنقلب عليه بلاد الشمال الأفريقي إذا هو خرج منها بقواته.وفي مقابل قوة المسلمين المحدودة كانت قوات الاعداء تقف بعدتها وضخامتها عقبة في طريق الفتح تحت قيادة لذريق القائد القوي.

طبيعة جغرافية الأندلس

كان البحر حاجزا بين المسلمين وبلاد الأندلس، فلم يكونوا على علم بطبيعتها وجغرافيتها، وهذا ما يجعل الإقدام على غزو أو فتح هذه البلاد أمرا صعبا، فضلا عن هذا فقد كانت بلاد الأندلس تتميز بكثرة الجبال والأنهار، تلك التي ستقف عقبة كئودا أمام حركة أي جيش قادم، خاصة إذا كانت الخيول والبغال والحمير هي أهم وسائل ذلك الجيش في نقل العدة والعتاد.

موسى بن نصير ومواجهة العقبات

لم يستسلم موسى بن نصير رغم هذه العقبات التي كانت موجودة في طريق فتح الأندلس، بل زادته هذه العقبات إصرارا على فتحها، ومن هنا بدأ ـ وفي أناة شديدة ـ يرتب أموره ويحدد أولوياته، فعمل على مواجهة هذه العقبات على النحو التالي:

أولاً: بناء الموانئ وإنشاء السفن

بدأ موسى بن نصير في عام (87 أو 88هـ= 706 أو 707م) ببناء الموانئ التي تشيد فيها السفن، وإن كان هذا الأمر ربما يطول أمده، إلا أنه بدأه بهمة عالية وإرادة صلبة، فبنى أكثر من ميناء في الشمال الأفريقي.

ثانياً: تعليم الأمازيغ الإسلام

وفي أثناء ذلك بدأ موسى بن نصير ـ أيضا ـ يبذل جهودا أكبر لتعليم الأمازيغ الإسلام في مجالس خاصة لهم، أشبه بما نسميه الآن الدورات المكثفة، فلما اطمأن إلى فهمهم للإسلام بدأ يعتمد عليهم ويستعملهم في جيشه، وهذا الصنيع من الصعب ـ إن لم يكن من المستحيل ـ أن نجده عند غير المسلمين، فلم تستطع دولة محاربة أو فاتحة غير الدول الإسلامية أن تغير من طبائع الناس وحبهم وولائهم الذي كانوا عليه، حتى يصبحوا هم المدافعين عن هذه الدولة والناشرين لدينها، خاصة إذا كانوا حديثي عهد بهذا الفتح أو بهذا الدين الجديد، فهذا أمر عجيب حقا، ولا يتكرر إلا مع المسلمين وحدهم، فقد ظلت فرنسا ـ على سبيل المثال ـ في الجزائر مائة وثلاثين عاما، ثم خرجت جيوشها، بينما ظل الجزائريون كما كانوا على الإسلام لم يتغيروا، بل زاد حماسهم له وزادت صحوتهم الإسلامية.

علم موسى بن نصير الأمازيغ الإسلام عقيدة وعملا، وغرس فيهم حب الجهاد وبذل النفس والنفيس لله، فكان أن صار جل الجيش الإسلامي وعماده من الأمازيغ الذين كانوا منذ ما لا يزيد على خمس سنوات من المحاربين له.

ثالثاً: تولية طارق بن زياد على الجيش

القائد هو قبلة الجيش وعموده، بهذا الفهم ولى موسى بن نصير قيادة جيشه ـ المتجه إلى فتح بلاد الأندلس ـ القائد الأمازيغي المحنك طارق بن زياد (50ـ 102هـ= 670ـ720م) ذلك القائد الذي جمع بين التقوى والورع، والكفاءة الحربية، وحب الجهاد، والرغبة في الاستشهاد في سبيل الله، ورغم أنه كان من الأمازيغ وليس من العرب إلا أن موسى بن نصير قدمه على غيره من العرب، وكان ذلك لعدة أسباب، منها:

1ـ الكفاءة: لم يمنع كون طارق بن زياد غير عربي أن يوليه موسى بن نصير قيادة الجيش، فهو يعلم أنه ليس لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي فضل إلا بالتقوى، فقد وجد فيه الفضل على غيره، والكفاءة في القيام بهذه المهمة على أكمل وجه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن دعوة الإسلام ليست دعوة قبلية أو عنصرية تدعو إلى التعصب، وتفضل عنصرا أو طائفة على طائفة، إنما هي دعوة للعالمين: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ـ الأنبياء: 107).

2ـ قدرته على فهم وقيادة قومه: إضافة إلى الكفاءة التي تميز بها طارق بن زياد كان لأصله الأمازيغي الفضل في القضاء على أي من العوامل النفسية التي قد تختلج في نفوس الأمازيغ الذين دخلوا الإسلام حديثا، ومن ثم استطاع قيادتهم وتطويعهم للهدف الذي يصبو إليه، ثم لكونه أمازيغيا فهو قادر على فهم لغة قومه، إذ ليس كل الأمازيغ يتقنون الحديث بالعربية، وكان طارق بن زياد يجيد اللغتين العربية والأمازيغية، ولهذه الأسباب وغيرها رأى موسى بن نصير أنه يصلح لقيادة الجيش فولاه إياها.

رابعاً: فتح جزر البليار وضمها إلى أملاك المسلمين

من أهم الوسائل التي قام بها موسى بن نصير تمهيدا لفتح الأندلس، وتأمينا لظهره ـ كما عهدناه ـ قام بفتح جزر البليار ـ التي ذكرناها سابقا ـ وضمها إلى أملاك المسلمين، وبهذا يكون قد أمن ظهره من جهة الشرق، وهذا العمل يدل على حنكته وبراعته في التخطيط والقيادة، ومع هذا كله فقد أغفل دوره في التاريخ الإسلامي كثيرا.

همسات رمضانية

د.وليد العلي
إمام وخطيب المسجد الكبير

إن قول الله تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين) يدل على أنه لا يكون أحد من أتباع الرسول ﷺ على الحقيقة إلا إذا دعا إلى الله تعالى على بصيرة، فمن لم يدع إلى الله تعالى على بصيرة فليس هو في الحقيقة على سبيل رسول الله ﷺ.

والبصيرة التي يدعى إلى الله تعالى عليها: هي الثبات في الدين.

وثمرة هذه البصيرة: هي العبرة، فمن تبصر: اعتبر، ومن عدم العبرة فكأنه لا بصيرة له.

والقرآن الكريم كله بصائر ودلائل وهدى وبيان، فهو يقود إلى الحق ويهدي إلى الرشد. فحصل من مجموع هذه القواعد الأربع كلها أن أئمة الدين الذين يقتدي الدعاة بهم هم الذين جمعوا بين الصبر واليقين والدعوة إلى الله تعالى وفق السنة والوحي لا بالآراء وبالبدع.

فالذين جمعوا هذه الأصول الأربعة هم خلفاء الرسول ﷺ في أمته، وهم خاصته وأولياؤه، ومن عاداهم أو حاربهم فقد عادى الله سبحانه وآذنه بالحرب.

فأفضل الخلق وأعلاهم درجة عند الله تعالى يوم القيامة هم من استثناهم الله سبحانه وتعالى من الخسارة الأبدية، قال تعالى: (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر). فأقسم الله سبحانه وتعالى على خسران الإنسان، إلا من كمل نفسه بالإيمان والعمل الصالح، وكمل غيره بوصيته له بهما مع الصبر على ذلك، ولهذا قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: «لو فكر الناس كلهم في سورة العصر لكفتهم». فمجموع ما في السببين الأولين من الأسباب الأربعة التي رتب الله عليها نجاة الإنسان من الخسر، في قوله تعالى: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)، فيهما الدلالة على العلم، الذي يصلح ما بين الإنسان وبين الخالق، ومجموع ما في السببين الآخرين من هذه الأسباب الأربعة، في قوله تعالى: (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر)، فيهما الدلالة على العدل، الذي يصلح ما بين الإنسان وبين الخلق. ونجاة الإنسان إنما هي بالاتصاف بهذين الوصفين، وخسارته إنما هي بالتعوض بكل من: الظلم عن العدل، والجهل عن العلم، كما قال الله تعالى: (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا). فبمجموع هذين الأمرين وهما العدل والعلم تتحصل للإنسان اللذة والنعيم وطيب العيش، ويندفع بهما عنه أضداد ذلك.

وإنه مما ينبغي أن يعتني بك كل إنسان علما ومعرفة وقصدا وإرادة، أن يسعى فيما يحصل له صلاحه، وهذا يتضمن ستة أمور:

الأمر الأول: إدراك الشيء النافع للعبد الملائم له، الذي بحصوله تتم لذته ويكمل فرحه ويسر قلبه ويطيب عيشه.

الأمر الثاني: معرفة الطريق الموصلة إلى هذه المعرفة.

الأمر الثالث: سلوك تلك الطريق بعد معرفتها.

الأمر الرابع: تمييز الشيء الضار المؤذي، الذي ينكد على العبد حياته.

الأمر الخامس: مجانبة السبل التي إذا سلكها أفضت به إلى تلك الشرور.

الأمر السادس: تجنب سلوك هذه السبل.

فهذه ستة أمور، لا تتم لذة العبد وسروره وفرحه وصلاح حاله إلا باستكمالها، وكل ما نقص من هذه الأمور فإنه يعود بسوء حال العبد وتنكيد حياته، وفساد قلبه وجوارحه.

من روائع الخط العربي

الحمد

لله رب العالمين

بقلم الديوان بخط الشيخ نسيب مكارم الذي زاول الخط في لبنان ما يقرب من 70 عاما، كما علم الخط العربي في مختلف المدارس كالجامعة الأميركية والليسيه الفرنسية.